

خمس عشرة سنة ، وقاد الجيوش مظفراً . ولما قامت المشاحة بين البكر وتغلب واحتكموا إلى عمرو بن هند ، وقف عمرو بن كلثوم مدافعاً عن قومه ، وما إن فرغ من إنشاد قصيدته حتى ظهر له أن هوى الملك مع بكر ، فانصرف وفي نفسه ما فيها . ثم خطر في نفس بن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها عمرو بن كلثوم ، فدعاه هو وأمه ليلى ، وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها في قضاء أمر . فصاحت ليلى : « وإذلاه ! يا لتغلب ! » فسمعها عمرو بن كلثوم . فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه : ثم رحل تَوّاً إلى بلاده بالجزيرة الفراتية ، وأضاف إلى معلقته قسماً بين فيه سخطه على عمرو بن هند .

وإننا لنشعر ، ونحن نقرأ معلقة ابن كلثوم ، أننا أمام مشهد يشبه مشهد أخيل يخاطب هكتور في لهجة الناغم ، في لهجة الشجاع الباسل الذي يتدفق تدفق السيل الجارف ، في لهجة من تملأ من الحجد وقام في قومه مقام السيد ، وحمل في نفسه ماضياً زاخراً بالعزة ، حافلاً بالقوة ، وحاضراً تتعاقب فيه السيوف والرماح وتجري فيه الدماء سيولاً ، ومستقبلاً يقوم على جماجم الأعداء صروحاً تظلل الأبناء إلى أبد الدهر .

وإننا نلمس في هذه المعلقة أن أدب ابن كلثوم هو أدب الثورة والجماع ، أدب الانفعال الشديد الذي لا يجد منه العقل ، فقصيدته اندفاع على غير هدى ، وعلى غير استقامة في التفكير والتنسيق ، وأفكاره متدافعة ، متقاذفة ، مكررة ، تسبح في عالم من الخيال الجامح الذي يغلو ويفرق في القلوب .

أما الحارث بن حلزة الشكري البكري فهو الذي وقف في وجه عمرو بن كلثوم يوم الاحتكام إلى عمرو بن هند ، ودافع عن قومه بقصيدته المعدودة من المعلقات ، والتي وصف فيها الحرب ومزج في الوصف صهيل الخيل بصلصلة الصوارم ، بعجيج الأبطال ، بأصوات الماشية ، بثورة الطبيعة كلها . وشعر ابن حلزة خطابي ملحمي ، يرمي إلى الإقناع ، ويعتمد سرد القصص البطولي ، وذلك